الطريق إلى الفضيلة

TAO TE CHING

نص صيني مقدس

تأليف

لوتسو

ترجمة

علاء الديب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٨

أقدمت على ترجمة هـذا النص فى فترة ارتبكت فيها حياتى : هزائم خاصة ، وهزائم عامة ، وارتباك فى الفكر والسلوك ·

وكانت لهـذه الترجمـة علاقة · لا أقول عالجت الموقف ولكنهـا أضـاءت بعض جوانبه ، ودعتنى الى الاعتدال والبساطة فى تناول الحياة ·

لوتسـو Laotsu المـؤلف هـو رفيق كونفوشيوس الكبير ، عاش فى القرن السـادس قبـل الميـلاد ، فى الأرشيف الامبراطورى فى مدينـة لوينج ، بمقاطعـة هينان Honan

كانت خلاصة فكره أن « الطاو » الذى يمكن أن يصاغ فى كلمات ليس هو « الطاو » الأبدى · وطبقـا للأسطورة القديمة هجر الرجل الحياة كلها ، ورفض أن يسجل الحكمة ، يأسا من أحـوال النـاس وشرورهم ،

وعدم جدارتهم بالحكمة · هجر الحياة وانطلق وحيدا مع حماره · الا أن حراس المناطق الشمالية أجبروه على تسجيل كلماته · ثم جمعوا هذه الكلمات فكانت الاحدى والثمانين قطعة والتى يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، والتى أثرت بعد ذلك فى الروح الصينية وفى الأساطير والتراث والثقافة الصينية كلها ·

الكونفوشيسية تهتم بسلوك البشر فى الحياة اليومية · بينما تخاطب « الطاوية » جانبا أكثر روحانية فى حياة الانسان ·

تقول الاحصاءات الغربية ، أن كتاب « الطاو » هو من أكثر الكتب طبعا ومبيعا فى العالم كله (بعد الانجيل » ·

والفلسفة الطاوية بسيطة : اقبل ما أمامك · لا ترغب فى آن يكون الحال غير ما هو عليه · ادرس قانون الطبيعة والأشياء ، واعمل طبقا لهذا القانون ، ولا تعمل ضده · أية محاولة للتغيير تستشير المقاومة ·

الطبيعة تقـدم كل شيء دون أن تنتظر شـــكرا أو أجـرا • هى تقـدم عطاءها للجميع دون تفرقة أو تمييز •

لذلك دعنا نقابل الجميع بوجه واحد ، ونعـامل كل الناس بالمســاواة • اذا أنعمنا النظر لوجـدنا أن العمل ينجز ببراعة وسرعة أكثر ، لو توقفنا عن تعمد المحاولة ، وتوقفنا عن أن نبذل من أجل الحصول عـلى الأشياء ، جهدا أزيد من اللازم ، وتوقفنا ــ أيضـا ــ عن انتظار وتوقع النتائج • فى العقل الساكن المفتوح، سوف تنعكس الحقيقة • حينئذ نستطيع تذوق المعنى الحقيقى للعالم • ان تفهم : يعنى أن تخضــع • أننـا نخدم من ، وما يقف أمامنا دون تمييز • ودون أدنى تفكير فى أنفسنا • أن الـ Te أى الفضيلة أو القوة ــ تكمن فى الـ Tao أى « القانون الطبيعى » •

هذه هى خلاصة سريعة لفكر « الطاو » • لـكن العلاقة التى قامت بينى وبين النص امتـدت لتشـمل مجال الفن ، ومشكلة بساطة التعبير • امتدت لكى تحاول

اكتشاف تلك القدرة الفائقة والضرورية للتعبير المتكرر عن البديهيات ٠

فكرت فى قدم هذه البديهيات ، وخلودها ٠ هـل العدل ، والصحة هنا والفضيلة ، هم سر الخلود ؟ أم أن سر الخلود هو القدرة على التعبير البسيط ؟

وما هو البديهى على آية حال ؟!

لا أعـرف ٠ لقـد اقتربت من النص ٠ بروحى ، وقلبى ، أكثر مما اقتربت منه بعقلى ، ولعل هذا هـو أحد المتناقضات الأساسية فى الانسان والتى كشف عنها الكتاب ٠

الترجمة الانجليزية التى نقلت عنها هى ترجمـة بسيطة جميلة ، ومصورة ، يقـول عنهـا أحـد النقاد المتخصصين أنها تعمدت تقريب الكلمات القـديمة فى النص الى البسطاء ، انها ترجمة حية ومباشرة لنص غاية فى القدم ٠

قام بالترجمة من الصينية للانجليزية **Gia-Fu-Feng** ولد فى الصين ١٩١٩ ، ودرس الفلسـفة هنـاك ، ثم

هاجر الى أمريكا ليكمل الدراسة ثم يقوم بالتـدريس في عدد من الجامعات حتى انتهى الى جامعة « كلورادوا » رئيسا لقسم الدراسات الشرقية ، وأسس جماعة تعرف باسم « جماعة التأمل الطاوى » فى « كلورادوا » ٠

ساعدته فى الترجمـة ، أستاذة أمريكية تعمـل بالتصوير ودارسة متخصصـة فى الحضـارة الصينية ، وقدمت مع الترجمة عددا كبيرا من الصور الفوتوغرافية التى تشكل جزءا هاما من هذه الترجمة المبـدعة وهى الأستاذة Jane English التى تقوم بتدريس الحضـارة المقارنة فى جامعة « كلورادوا » أيضا ٠

وأخيرا ٠ فقد تفضل بمراجعة الترجمة الأسـتاذ الـكبير بدر الديب فأفاض عليهـا من علمـه الغـزير بالفلسفات الشرقية ، وذوقه الأدبى الرفيع ٠ مما جعل الترجمة تأخذ اتساقا واستقامة ، ووضوحا ٠ وبقيت وحدى مسئولا عن ما فيها من قصور أو أخطاء ٠

مع أملى فى أن تحمل الترجمة العربية اليك بعضا من روح النص البديع ٠

عـلاء الديب

« الطاو » الذى يمكن أن نخبر عنه ،
ليس هو « الطاو » الأبدى ·
والاسم الذى يمكن أن يسمى به ،
ليس هو الاسم الآبدى ·
هأ لا اسم له ، هو بداية السماء والأرض ·
أما الذى له اسم فهو « الأم » لعشرة آلاف شىء ·
لو تجردت من الرغبة لعاينت المجهول
لو تبعت الرغبة ، لما شاهدت سوى الظاهر ·
الاثنان يخرجان من (المصدر نفسه) ،
ويختلفان فى الاسم ·
ويبدو هذا وكأنه ظلمة ،
ظلمة فى داخل ظلمة ·
هى البوابة لكل المجهول ·

تحت سمائنا هذه يمكننا أن نرى الجمال جمالا :

لآن القبح موجود

يستطيع الناس ان يروا الخير خيرا ، لأن الشر موجود

★★★

الفقر والغنى ينبعان من المصدر نفسه ·

الصعوبة والسهولة : يكمل كل منهما الآخر ·

الطويل والقصير يتناقضان ·

يقف العالى فوق المنخفض ·

الصمت والضوضاء يتناغمان ·

الامام والخلف يتبع الواحد منهما الآخر ·

★★★

لذلك يمشى الحكيم فى الأرض ·

يفعل لا شىء · يعلم بلا كلام

بينما العشرة آلاف تصعد وتهبط بلا توقف ٠
يخلق ولا يتملك ٠
يعمل ، ولا يأخذ أجرا ٠
ينتهى العمل ، ثم يمسى ،
بذلك يخلد الى الأبد ٠
عدم استعراض المواهب ، يمنع المشاحنة ٠
عدم جمع الكنوز ، يمنع السرقة ٠
الامتناع عن رؤية الأشياء المشتهاة يمنع ارتباك القلب ٠

★★★

لذلك يحكم الحكيم بافراغ عقول الناس ،
وملء بطـــونهم ٠
بأضعاف أحلامهم وتقوية طين عظامهم ٠

★★★

اذا فقد الناس المعرفة والرغبة ،
[فان المثقفين لن يتدخلوا] ٠

اذا لم نفعل شيئا ، فان كل شيء سيكون على ما يرام ·
« الطاو » وعاء فارغ لا يمتلىء أبدا ·
يصب فيه ولا يمتلىء أبدا ·
[أيها النبع الذى لا قرار له لعشرة آلاف شيء !]
لا يستوعب جوهرك :
خفف عنا الحدة فى الأشياء ·
واحلل لنا القصد ·
واحمنا من بهرة الضياء ·
يا أيها المختبىء فى الأعماق ، وحاضر أبدا ·
أنا لا أعرف من أين تأتى ·
يا أول كل الأباطرة ·
السماء والأرض لا تعرفان الرحمة
بالنسبة لهما، ليستالعشرة آلاف شيء ، سوى مجرد دمى
الحكيم هو الآخر قاس لا يرحم ،
هو — أيضا — يرى الناس مجرد دمى

★★★

المسافة بين السماء والأرض كأنها آلات للنفخ ·
قد تتغير أشكال الآواني وتبقى الصورة واحدة ،
وكلما تحركت الآلات كان ما تصدره أكثر ·
الكلمات الكثيرة تعنى قليلا ·
تمسك أنت جيدا بالجوهر ·
روح الوديان لا تموت أبدا ،
انها المرأة الأولى ·
رحمها أصل السماء والأرض ·
مثل غلالة رقيقة هى ، لا تكاد ترى ·
لكن انشرها ــ تجدها حاضرة دائما أمامك ·
تبقى السماء والأرض الى الأبد ·
لم تبق السماء والأرض الى الأبد ؟
انهما لم يولدا ، لذلك الى الأبد يعيشان ·
الحكيم يتراجع ليبقى فى الخلف ،
لذلك هو فى المقدمة ·

منفصل ، لذلك هو ملتحم مع الجميع ،
يحقق كمال ذاته ، من خلال أعمال بلا ذات ٠
أعلى الفضائل ، مثل المياه ،
تهب الحياة للعشرة آلاف شيء ، دون جهد أو سعى
تنساب المياه الى الأماكن التى هجرها الناس ــ كذلك هو
« الطاو »

★★★

فى السكن ، كن قريبا الى الأرض ٠
فى التأمل ، كن عميقا فى القلب ٠
فى التعامل مع الآخرين ، كن رقيقا ٠
فى الحديث ، كن صادقا ،
فى الحكم ، كن عادلا ٠
فى العمل ، كن دقيقا ٠
فى الحركة ، راقب التوقيت ،

★★★

لا شجار ، اذن لا ملامة .

توقف مبكرا قبل أن يفيض الكيل .

اشحذ حد الموسى جيدا جدا ، فسرعان ما يتبلد .

املأ الجرار بالذهب والياقوت ، لن تجد من يحرسها ،

اتخذ لنفسك الثروة والألقاب ، تستدعى الكوارث ،

انسحب بعد أن تؤدى عملك .

هذا هو طريق السماء .

حاملا الروح والجسد معانقا الواحد .

فهل تستطيع ـ مع ذلك ـ أن تتجنب الانفصام

منتبها غاية الانتباه ، ومطواعا لينا

فهل تستطيع مع ذلك أن تكون كالطفل الوليد ؟

واذا غسلت ونقيت الرؤية الأولى ،

هل تستطيع أن تكون بلا ظلام ، أو خطيئة ؟

واذا أحببت كل الناس

وحكمت البلاد :

هل تقدر أن تكون بلا مخاتلة أو شطارة ؟
لو أنك فتحت وأغلقت كل أبواب السماء ،
هل تستطيع أن تقوم بدور المرأة ؟
واذا تفهمت وانفتحت لكل الأشياء ؟
فهل تستطيع أن تظل لا تفعل شيئا ٠
تعطى الميلاد والغذاء ،
ولا تشـعر بالتملك ٠
تعمل ولا تطلب أجرا ٠
تقود ولا تتحـكم ٠
هذه هى الفضيلة الكبرى ٠
ثلاثون ذراعا يشاركون فى محور العجلة
ولكن الفراغ الذى فى قلب المركز هـو الذى يجعلهـا نافعة ٠
اصنع من الطين ابريقا ،
الفراغ الذى بداخله ، هـو الذى يجعله صالحا للشرب فيه ٠
افتح ؟ للغرفة أبوابا وشبابيكا ،

يبقى فراغها مصدر نفعها ٠

بعض المكاسب تأتى من الوجود ٠

أما النفع الحقيقى فينبعث من اللا وجود ٠

الألوان الخمسة تعمى العين ،

الأصوات الخمسة تصم الأذن ٠

الاحساسات الخمسة تفسد الذوق ٠

التسابق والقنص يذهب العقل ٠

الأشياء الثمينة تقود المرء للاحتلال ٠

★★★

ولهذا فالحكيم من تقوده مشاعره ، لا ما يراه ،

هو يتخلى عن هذا ويختار ذلك ٠

تعلم أن تقبل الاهانة بصدر رحب ٠

تعلم أن تقبـل سـوء الحظ عـلى أنه طبيعة الوجـود الانسانى ٠

★★★



五色令人目盲五音令人耳聾五味令人口爽

馳騁畋獵令人心發狂難得之貨令人行妨

是以聖人為腹不為目

故去彼取此

ماذا يعنى « تقبل الاساءة بصدر رحب » ؟

يعنى تقبل أن تكون عديم الأهمية ·

أن لا تهتم بالخسارة والمكسب ·

هذا ما يعنيه تقبل الاهانة بصدر رحب ·

★★★

ماذا يعنى « تقبل سوء الحظ على أنه طبيعة الوجود الانسانى » ؟

سوء الحظ يلحق بك لأن لك جسدا

بدون الجسد كيف يطولك سوء الحظ

★★★

أسلم نفسك فى تواضع · حينئذ تكون جديرا بأن تهتم بكل الأشياء ·

أحب العالم كأنه نفسك ، حينئذ تستطيع بحق أن ترعى كل الأشياء ·

المعلمون القدماء ، نسيج وحدهم ، دهاة ، غامضـــون معرفتهم عميقة ، سريعو الفهم والاستجابة ٠

عمق معرفتهم لا يسبر غوره ، ولأن معرفتهم لا يسبر غورها ٠

فلن نستطيع أن نصف سوى مظهرهم فقط ٠

منتبهون كأنهم يعبرون جدولا مليئا بالثلج فى الشتاء ٠

حريصون ، كأنهم رجال يحدق بهم خطر ٠

مهذبون ، كأنهم ضيوف فى زيارة ،

يذعنون ، كأنهم ثلج على وشك الذوبان ،

بسطاء ، كأنهم كتلة من الخشب الخام ،

مجدفون ، كأنهم كهوف ٠

معتمون كأنهم مستنقع طينى ٠

★★★

من هذا الذى يستطيع أن ينتظر
حتى يترسب الغرين ويرسو الطين ؟
من هذا الذى يستطيع أن يبقى ساكنا حتى تحين ساعة الحركة ؟

أتباع « الطاو » لا يبحثون عن التحقق أو الاشباع ٠
ولذلك فهم ليسوا عرضة لعواصف الرغبة فى التغيير ٠

أفرغ نفسك من كل شىء ،
اجعل العقل يستريح فى سلام ٠
العشرة آلاف شىء تصعد وتهبط ، بينما النفس تراقب عودة الجميع ٠
العشرة آلاف شىء تنمو وتزدهر ، ثم ترجع الى الأصل ٠
العودة الى الأصل سكون ، هذا هو مسعى الطبيعة ٠
طريق الطبيعة لا يتغير ٠
معرفة الاستقرار بصيرة ٠
عدم معرفته تؤدى الى كوارث ٠

معرفة الاستقرار ، تفتح العقل ،
العقل المفتوح ، يجلب القلب المفتوح ·
العقل المفتوح يجعلك تتصرف تصرف الملوك ·
تصرفات الملوك تجلب القداسة ،
وبالقداسة تكون واحدا مع « الطاو »
أن تكون واحدا مع « الطاو » يعنى الخلود ·
بذلك يفنى الجسد ·
أما « الطاو » فانه يبقى الى الأبد ·
أعلى الأعالى لا يكاد يعرفه الناس
تحت ذلك يأتى ما يعرفونه ، وما يحبونه
ثم ما يخافون منه ،

★★★

وأخيرا يأتى ما يحتقرونه
من لا يثق ، لا يوثق به ·

عندما تؤدى الأعمال ، دون كلام لا لزوم له
فان الناس تقول « نحن فعلنا هذا »
عندما ينسى الناس « الطاو » الكبير ،
يرتفع قدر الشفقة ، وتروج الأخلاقيات المصطنعة
عندما يتوالد ، الذكاء ، والدهاء ، والحكمة ،
يبدأ الادعاء الكبير .

★★★

عندما لا يكون هناك سلام فى داخل الأسرة ،
يرتفع شأن محبة الأبناء واخلاصهم ،
يسود وئام ظاهرى ، وتضحية شكلية .
عندما يسود البلاد الفوضى والاضطراب ،
يظهر الوزراء الموالون .
تخلصوا من ادعاء القداسة ، وانبذوا الحكمة
سيكون هذا أفضل مائة مرة للجميع .

انزعوا الشفقة ، واهجروا التمسك بنصوص الأخلاق
حتى يستطيع الناس أن يعيدوا
اكتشاف التعاطف الحقيقى بين الأباء والأبناء ، والحب .

★★★

انبذوا الشطارة ، واحتقروا المكسب ،
يختفى اللصوص والنصابون .
هذه الحدود الثلاثة ليست الا شكلا خارجيا فقط .
هى غير كافية فى حد ذاتها .
المهم أن نرى البساطة .
أن يدرك الانسان طبيعته الحقيقية ،
أن يطرح الأنانية ، ويروض الرغبة .
توقف عن التعلم ، وضع نهاية لكل متاعبك .

★★★

هل هناك فرق بين نعم ، ولا ؟

هل هناك فرق بين الخير والشر ؟

هل يتحتم على أن أخاف كل ما يخافه الآخـرون ؟ أى سخف هذا !

الناس الآخرون ، راضون ، يستمتعون بالاحتفال الذى

أقاموه على لحم الثور الذبيح ٠

فى الربيع يخـرج البعض الى الحـدائق ، ويتسـلقون الشرفات ٠

أنا وحدى مختلف ، ضائع ، لا أعرف أين أنا ٠

كطفل وليد لم يتعلم الابتسام بعد

أنا وحدى ، ليس لى مكان أذهب اليه ٠

★★★

الآخرون عندهم أكثر من حاجتهم

أما أنا فلا أتملك شيئا

آه ٠٠ نعم اننى أحمق ٠٠ وقد اختلطت على الأمور ٠

الرجال الآخرون ، واضحون ٠٠ وأذكياء ٠
أنا وحدى ، بليد وضعيف ٠
الناس كلهم مهرة ٠
أنا وحدى عاجز ٠٠ وغبى ٠
أواه ٠٠ اننى أسير بلا هدى ، كموج البحر
بلا هدف ، مثل رياح قلقة ٠

★★★

الناس كلهم عندهم ما يشغلهم ،
وأنا وحدى بلا قصد ٠
أعانى الاكتئاب ٠
ترضعنى ، وتغذينى الأم الكبيرة ٠
فأنا مختلف ٠
أعظم الفضائل ، أن تتبع « الطاو » و « الطاو » وحده
« الطاو » مراوغ لا يمسكه الحس ٠

آه . كم هو مراوغ لا تطوله اليد
ولكن له فى الداخل صورة .
كم هو باهت ، ومظلم ،
ولكنه فى الداخل هو ماهية .
والماهية واقعية جدا ،
وفيه يكمن الايمان .
من البدء حتى الآن لم ينس اسمه أبدا
هكذا أفهم أنا الخلق ؟
كيف يمكن أن أفهم أنا سبل الخلق ووسائله ؟
بهذا ــ فقط ــ أستطيع أن أفهم .
تخل ، تتفــوق .
انحن ، تســتقم .
أفرغ نفسك ، تمتلىء
استهلك نفسك ، تجددها
ارض بالقليل تصبح غنيا
أمتلك الكثير ، تصيبك الفوضى والارتباك

★★★

العقلاء يكتفون بمعانقة الواحد

وبذلك يصبحون قدوة للجميع ·

لا يستعرضون قدراتهم ،

لذلك تشع منهم القوة ·

انهم لا يبررون أنفسهم ،

لذلك فهم متميزون ·

انهم لا يتفاخرون ،

لذلك لا يخطئون ولا يتعثرون

هم لا يتشاجرون ،

لذلك لا يتشاجر معهم أحد

لذلك قال القدماء :

تخل حتى تتفوق !

آكان هذا قولا فارغا ؟

كن كلا واحدا غير موزع .

تأتى لك الأشياء جميعا ·

أن يكون كلامك قليلا ، هذا هو الأمر الطبيعى ،
فالرياح العالية لا تبقى الصباح كله ،
والمطر الغزير لا يدوم طوال النهار ،
لم هذا يا سماء ، ويا أرض ؟
اذا كانت لا السماء ولا الأرض
تستطيع أن تصنع شيئا باقيا ،
فكيف يستطيع الانسان ذلك ؟

★★★

من يتبع الطاو ، يصير هو « والطاو » واحدا ،
من هو فاضل ، يعرف الفضيلة ،
من يضل الطريق ، يعيش الضياع .
« الطاو » يحتفى بك ، عندما تتوحد مع الفضيلة .
تكون الفضيلة دائما معك .
عندما تعيش الضياع ، تجد الضياع بعضا من رغباتك .

★★★

من لا يثق ثقة كافية
لا يوثق به ٠
الانسان يتبع الأرض
والأرض تتبع السماء
والسماء تتبع « الطاو »
أما « الطاو » فيتبع ما هو طبيعى
من يقف على أطراف أصابعه ، لا يمكن أن يكون ثابتا ٠
من يوسع الخطوة ، لا يستطيع تنظيمها ٠
الذى يتظاهر ليس مستنيرا ٠
من يحسب نفسه مصيبا دائما لا يحترم ٠
وهذا الذى يتفاخر لا يحقق شيئا ٠
والذى يتباهى لا يبقى طويلا ٠
فكما يقول أتباع « الطاو » :
« هذا طعام زائد ، وأمتعة غير ضرورية » ٠
وهى لا تجلب السعادة ،
فتجنبوها ، يا أتباع « الطاو » ،

★★★

على نحو غامض تكون وتشكل ،
وولد قبل السماء والأرض ٠
يقف ثابتا لا يتغير ، أمام الصمت والفراغ ٠
حاضرا أبدا ، ودائم الحركة ٠
ربما يكون هو « أم » العشرة آلاف شيء ٠
أنا لا أعرف له اسما ، فلنسمه « الطاو »
ولأننا لا نملك كلمات أفضل :
فانى أطلق عليه وصف : عظيم ٠
ولأنه عظيم فهو يسبح ،
يسبح بعيدا جدا ٠
وعندما يصبح فى كل الأبعاد ،
فانه يرجع من جديد
لذلك « الطاو » عظيم ٠
السـماء عظيمـة ٠
الأرض عظيمـة

الملك ـــ هو الآخر ـــ عظيم

هذه هى القوى الأربع الكبرى فى الكون ٠

والملك واحد منهم ٠

الثقيل هو أصــل الخفيف ،

والثابت هو سيد المتحرك ٠

★★★

لذلك يظل الحكيم طوال حياته مرتحلا ،

آمتعته لا تغيب عن عينه لحظة ٠

على الرغم من أن حوله ، آشياء جميلة كثيرة يمكن أن يراها ،

الا آنه يظل هادئا ، غير متلهف على الأشياء ٠

لماذا يتصرف السيد الكريم صاحب العشرة آلاف مركبة ، بلا رزانة أمام الناس ؟

أن تصبح خفيفا ، يعنى أن تفقد الجذور ٠

أن تكون قلقا ، يعنى أن تفقد السيطرة على نفسك ٠

المشاء الجيد ، لا يخلف وراءه أثرا ٠

الخطيب الجيد ، لا يزل لسانه ٠
الحاسب الجيد ، لا يحتاج الى دفتر ٠
الباب الجيد ، لا يحتاج الى قفل
ومع ذلك لا يستطيع أحد أن يفتحه ٠
اللغة الجيدة ، لا تحتاج الى عقدة ،

★★★

ولا يستطيع أحد أن يفضها
لذلك يهتم الحكيم بكل الناس ، ولا يهمل أحدا ٠
يهتم بكل الأشياء ، ولا يغفل شيئا ٠
هذا هو ما يسمى « أتباع طريق النور »

★★★

من هو الرجل الطيب ؟
انه مدرس الرجل الشرير ٠
من هو الرجل الشرير ؟

انه بعض من مسئولية الرجل الطيب
اذا لم يحترم المدرس ،
واذا لم ينل التلميذ الرعاية ؟
فان الفوضى سوف تعم ، مهما كانت براعة الانسان ،
وهذا هو سر اللغز ·
أعرف قوة الرجل ،
لكنى احتفظ من المرأة بقدرتها على الرعاية والاهتمام ،
كن أنت نفسك ، تيار الكون ·
حقيقيا دائما ؟ لا ينحرف ·
ترجع ــ أنت نفسك ــ طفلا مرة أخرى

★★★

اعرف الأبيض ، لكن احتفظ بالأسود
كن ــ أنت نفسك ــ قدوة للعالم ·
وان تكون أنت قدوة العالم ،
صادقا دائما ، وغير متردد ، تعود الى المطلق ·

اعرف المجد ، لكن اعتصم بالتواضع ٠

فان كنت ــ أنت نفسك ــ السهل والوادى فى الكون

صادقا دائما ، وكثير العطاء

تعود الى حالة الكتلة الخام التى لم تنحت بعد ٠

عندما تقص قطعة الخشب وتقطع ، تصبح مفيدة

وعندما يستعملها الحكيم ، يصبح الحاكم ٠

لذلك : « الخياط العظيم لا يقص كثيرا ٠ »

هل تتصور آنك قادر على أن تأخذ الكون بين يديك ،

وأن تصلحه

أنا لا أعتقد أن هذا ممكن ٠

الكون مقدس ، وأنت لا تستطيع أن تصلحه ،

اذا أردت أن تصلحه ، تدمره ٠

اذا أردت أن تمسك به ، تفقده ٠

أحيانا تتقدم الأشياء ، وأحيانا تتأخر ٠

أحيانا يكون التنفس سهلا ، وأحيانا يكون صعبا ٠

أحيانا يكون الانسان قويا ، وأحيانا يكون ضعيفا •

مرة يعلو ، ومرات يهبط •

لذلك فان الحكيم من يتجنب التطــرف ، والافراط ، والرضا عن الذات •

★★★

اذا أردت يوما أن تضع حاكما على طريق « الطاو » ،

فأشر عليه ، وانصحه : لا تستعمل القوة أبدا، لكى تقهر العـــالم •

هذا يستدعى الرفض والمقاومة •

فشجيرات الشوك تنبت ، على الطريق الذى داسته أقدام الجيوش •

سنوات عجاف ، دائما تلى سنوات الحروب الكبيرة

افعل ما يجب عليك أن تفعله ، ولكن أبدا ــ لا تستغل قوتك

★★★

حقق ما تريد من نتائج ٠

لكن لا تتشدق بما حققت ٠

حقق النتائج ، ولا تتفاخر ٠

حقق النتائج ، ولا تتكبر ٠

حقق النتائج ، لأن هذه هى طبيعة الحياه

حقق النتائج ولكن ليس عن طريق القوة ٠

استخدام القوة ، يعقبه ـ دائما ـ فقدان القدرة ٠

هذا ليس طريق « الطاو » ٠

كل ما يسير عكس طريق «الطاو»، يلقى نهايته سريعا ٠

الأسلحة العظيمة آلات للخوف ٠

والمخلوقات جميعها تكرهها ٠

وأتباع « الطاو » لا يستعملونها أبدا

الرجال الحكماء ، يفضلون اليسار

وحال الحرب يفضلون اليمين ٠

★★★

الأسلحة ــ آلات الخوف ·

ليست من أدوات الرجل الحكيم ،
يستعملها ــ فقط ــ عندما لا يبقى أمامه خيار آخر ·
السلام · والهدوء ، أمانى عزيزة على قلبه ·
والانتصار ــ بالنسبة له ــ ليس مدعاة للفرح ·
اذا فرحت بالانتصار ، فهذا يعنى أن القتل يسرك ·
اذا كان القتل يسرك ، فلن تحقق نفسك ·
فى المناسبات السعيدة ، تعطى الأولوية لليسار ·
فى المناسبات التعسة تعطى لليمين

حتى فى الجيوش : فان القائد العسكرى يقف الى اليسار
أما قائد القوات الأعلى فنه يقف الى اليمين
هذا يعنى أن تنظيم الحرب ، هو نفس تنظيم الجنازة ·
عندما تقتل أعداد كبيرة من الناس ،
فان القلوب يجب أن تمتلىء عليهم بالحزن العميق ·
علينا أن ننظر الى الانتصار على أنه : جنازة ·

★★★

« الطاو » يبقى الى الأبد مستحيل التعريف ٠
ورغم أنه صغير ودقيق ، قبل أن يأخذ شكلا ،
فانه لا يمكن ادراكه ٠
اذا استطاع الملوك والحكام ، استئناسه وقيادته ،
فطيعهم الأشياء (العشرة آلاف شيء) ٠
تتحد السماء والأرض ، وينزل على الناس مطر رقيق ٠
لا يعود الناس في حاجة الى أوامر وتعليمات ،
تأخذ كل الأشياء (كلها ـ جميعا) ؟ مجراها الطبيعي ٠
عندما ينقسم الواحد ، فان الأجزاء تكون محتاجة الى
أسماء ،
وفي الدنيا ما يكفي من أسماء ٠
وعلى المرء أن يعرف متى يتوقف :
بهذا يتجنب الانسان المتاعب ٠
« الطاو » يشق طريقه في العالم ، كما يشق نهر طريقه
الى مصبه في البحر ،

★★★

معرفة الآخرين : حكمة •

معرفة النفس : كشف •

قيادة الآخرين تتطلب قوة •

قيادة النفس تقتضى القدرة •

من يشعر بأن عنده ما يكفيه غنى •

المثابرة من علامات قوة الإرادة •

من يحافظ على مكانه يبقى •

أن تموت ، دون أن تهلك ، ذلك هو الحضور الأبدى •

« الطاو » يفيض فى كل اتجاه ،

الى اليسار والى اليمين معا •

العشرة آلاف شيء تعتمد على « الطاو »

هو لا يمنع عنها شيئا ، هو يحقق هدفه فى صمت •

ولا يطلب شيئا •

★★★

هو يغذى العشرة آلاف شىء ، مع ذلك هو ليس سيدها •

انه لا غرض له ، انه صغير جدا ودقيق •

كل العشرة آلاف ترجع اليه جميعها ، ومع ذلك هو ليس سـيدها ٠

انه عظيم جدا ٠

هو لا يظهر العظمة ، لذلك فهو عظيم حقا ٠

سوف يلجأ اليه الناس جميعا

ذلك الذى يلزم الواحد ٠

عنده يجد الجميع السعادة والسلام ٠

العابرون يتوقفون ، لسماع الموسيقى ، ولطعام جيد

أما تعاليم « الطاو » فتبدو وكأن ليس لها كيان أو مذاق

فهى لا يمكن رؤيتها ، أو سماعها ٠

ومع ذلك فهى لا تستنفذ ولا تستهلك ٠

★★★

الذى ينكمش ،

لابد أولا أن يتمدد ٠

هذا الذى ينهار ،

لابد أنه كان متينا من قبل ،

ما يطرح أرضا ،

لابد أنه كان مرفوعا من قبل ٠

قبـــل الأخـــذ ،

لابد أن يكون هناك عطاء ٠

هذا ما يسمى ادراك طبيعة الأشياء ٠

اللين والضعيف ، يغلبان الصلب القوى ٠

السمك لا يقدر على ترك المياه العميقة .

وآسلحة البلاد يجب أن لا تطرح للعرض ٠

يسكن « الطاو » فى عدم الفعل ٠

لكنه لا يترك شيئا غير منجز ٠

لو أدرك هذا كل الملوك والحكام ،

فان العشرة آلاف شيء متطور تطورا طبيعيا ٠

فان ظلوا يريدون ان يفعلوا ستعود الاشياء الى بساطتها .

مادة لم تتشكل بعد ٠

بدون الشكل لا توجد الرغبة .
اذا انتفت الرغبة يحل الهدوء على الأشياء .
بهذا يعيش كل شيء فى سلام .
الرجل الطيب حقا ، لا يلتفت الى طيبته .
لذلك هو رجل طيب .
الأحمق هو من يجاهد ليكون طيبا .
انه لا يكون طيبا أبدا .
الرجل الطيب حقا لا يفعل شيئا .
ومع ذلك فهو لا يترك شيئا غير منجز .
أما الأحمق : يحاول جاهدا أن يفعل دائما ،
ومع ذلك يبقى الكثير مما عليه أن يفعله
عندما يفعل عطوف القلب شيئا ،
لا يترك وراءه نقصا .

★★★

أما عندما يفعل الرجل العادل شيئا .

فان أشياء كثيرة تبقى ناقصة ·

عندما يفعل الرجل المحب للنظام شـيئا ، ولا يسـتجيبه له أحد

فانه يشمر عن ساعديه ويحاول فرض النظام ·

اذا ضاع « الطاو » ، تقوم الطيبة

واذا ضاعت الطيبة ، قامت الشفقة

واذا ضاعت الشفقة ، قام العدل

وعندما يضيع العدل ، لا توجد سوى الطقوس

عندئذ تصبح الطقوس مجرد القشرة الخارجية للايمان والولاء ·

وبداية الاضطراب ·

أما معرفة المستقبل فهى مجرد زخارف مزوقة « للطاو »

وهى بداية الحماقة ·

★★★

لذلك فان الرجل العظيم حقا ، لا يهتم الا بالأشـياء الحقيقية

وليس بتلك التى على السطح •

يهتم بالثمر لا بالزهور •

يقبل الأولى ، ويرفض الثانية

كل الأشياء القادمة من الزمن الغابر ، تنبع من الواحد •

السماء واحدة ، وصافية •

الأرض واحدة ، وصلبه •

الروح واحدة ، وقوية ،

الوادى واحد ، ومليء ،

العشرة آلاف ، مكتملة وحية •

الملوك والحكام ، كاملون •

البلاد ، مستقيمة •

كل هذا بفضل أنها واحدة مكتملة •

★★★

صفاء السماء يمنع سقوطها ·

صلابة الأرض تمنعها من التشقق ·

قوة الروح ، لا تجعلها تستهلك ·

نحو العشرة آلاف يمنع موتها ·

امتلاء الوادى يمنعه من التيبس والجفاف ·

قيادة الملوك والحكام ، تمنع البلاد من السقوط ·

★★★

لذلك : فالمتواضع أصل النبيل ·

المنخفض أصل المرتفع

النبلاء يعتبرون آنفسهم :

يتاما ، وأرامل ، وصعاليك ·

أليس أعتمادهم الأول ، على التواضع !

النجاح الباهر ليس ميزه ·

لا تصلصل وكأنك مصنوع من اليشم (١) .

ولا تطن مثل أجراس من حجر .

العودة هى حركة « الطاو » .

الخضوع هو طريق « الطاو » .

العشرة آلاف شىء تولد جميعا من الوجود .

الوجود يولد من العدم .

التلميذ الحكيم يسمع عن «الطاو» فيطبقه بجد ونشاط .

التلميذ المتوسط يسمع عن « الطاو » فيفكر فيه بين الحين والآخر .

التلميذ الغبى يسمع عن « الطاو » فيضحك ،

لولا هذه الضحكات ما كان « الطاو » ما هو عليه .

★★★

---

(١) اليشم . حجر كريم .

فكما هـو مكتوب :

الطريق المنير يبدو مظلما ·

التقدم يبدو وكأنه تقهقر ·

الطريق السهل يبدو صعبا ·

أعلى الفضائل تبدو فارغة ·

النقاء العظيم يبدو ملطخا ·

ثروة من الفضائل تبدو غير كافية ·

قوة الفضائل تبدو ضعيفة ·

الفضيلة الحقيقية تبدو وكأنها غير حقيقية ·

المربع الكامل لا زوايا له ·

الموهبة الكبيرة تنضج متأخرة ·

أعلى النفخات الموسيقية لا تسمع ·

أعظم الصور بلا شكل ·

« الطاو » مختبىء ولا اسم له ·

وحده « الطاو » هو الذى يغذى كل الأشياء ،
ويصل بها الى كمال التحقق ٠
الواحد ولد عن « الطاو » ٠
الاثنان ولدت عن الواحد ٠
عن الاثنين ولدت الثلاثة ٠
وعن الثلاثة توالدت العشرة آلاف شىء
والعشرة آلاف شىء تحمل « الين » (١)
وتعانق « اليانج »
تناغم وجود العشرة آلاف يتحقق من الدمج بين هاتين
القوتين

★★★

الناس يكرهون أن يكونوا
أيتاما ، أو أرامل ، أو صعاليك ٠

---

(١) الين ٠ هو الجوهر الأنثوى السالب فى الطبيعة ، والذى يتبدى فى الظلمة والبرودة أو النداوة ، ويتحد مع اليانج (الذكورة) فتخرج الى الوجود جميع الاشياء ٠

ولكن الملوك والعظماء يصفون أنفسهم بهذه الصفات ٠

يكسب الانسان عندما يخسر ،

ويخسر عندما يحقق المكاسب ٠

أنا ــ أيضا ــ أعلم ما يعلمه الآخرون :

« الرجل العنيف يلقى ميتة عنيفة » ٠

هذا هو جوهر تعاليمى ٠

أكثر الأشياء ليونة فى الكون ،

تغلب أكثر الأشياء صلابة ٠

الشىء الذى لا جوهر له ،

يدخل حيث لا مكان ٠

من هذا أعلم قيمة عدم الفعل ٠

★★★

تعليم الناس بلا كلمات ،

وتحقيق الأفعال بلا فعل ،

أشياء لا يقدر على فهمها الا قليل من الناس .
شهرة الانسان ، أم نفس الانسان : أيهما أهم ؟
النفس أم الثروة : أيهما أغلى ؟
المكسب أم الخسارة : أيهما أشد ايلاما ؟

★★★

من يتعلق بالأشياء ، يعانى كثيرا .
من يدخر يعانى الخسارة الثقيلة .
الرجل الراضى لا يخيب أمله أبدا .
من يعرف متى يتوقف ،
لا يجلب على نفسه المتاعب .
انه يبقى دائما فى أمان .
الانجازات الكبيرة ، تبدو ناقصة ،
مع ذلك هى لا تعيش بعد استنفاذ منافعها .
الاكتمال العظيم ، يبدو فارغا .
لكنــه لا يســتهلك .

★★★

الاستقامة العظيمة تبدو معوجة ٠
الذكاء الساطع يبدو غباء ٠
والفصاحة البالغة تبدو وكأنها تلعثم ٠
الحركة تقهر البرودة ٠
والسكون يغلب الحرارة ٠
السكون ، والهدوء يجعلان كل أشياء الكون فى نظام ٠
عندما يكون « الطاو » حاضرا فى الكون ،
فان خيولا ترعى فى المدينة ، وتنشر على أرضها السماد والخصب ،
عندما يكون « الطاو » غائبا ،
فان خيول الحرب تربى خارج المدينة ٠

★★★

الخطيئة الكبرى هى الرغبة ٠
اللعنة الكبرى هى ، عدم الرضا

سوء الحظ الأكبر هو الرغبة فى الحصول على الأشياء

من يعرف أن الكفاية كفاية ،

يحصل ــ دائما ــ على ما يكفيه ٠

★★★

دون أن تخرج عن العــالم ، تســتطيع أن تعــرف كل موجود فيه ٠

دون النظر من النافذة تستطيع أن تعرف طرق السماء ٠

كلما ارتحلت بعيدا ، قل ما تعرفه ٠

★★★

لذلك : الحكيم يعرف دون أن يرحل ،

يرى دون أن ينظر ٠

يحقق الأشياء ، دون أن يفعل ٠

فى أتباع التعلم ، نكتسب كل يوم شيئا ٠

فى اتباع « الطاو » نسقط كل يوم شيئا ٠

★★★

ويتناقص ما يفعل شيئا فشيئا ٠
حتى نصل الى اللافعل ٠
عندما لا نفعل شيئا ، فان شيئا لا يترك دون أن ينجز ٠

★★★

يحكم العالم بأن تترك الأشياء ، لكى تأخذ مسارها الطبيعى ٠
العالم لا يحكم بالتدخل ٠
ليس للحكيم رأى خاص ٠
فهو يهتم باحتياجات الأخريين
اننى طيب مع الرجال الطيبين
وأنا طيب ــ أيضا ــ مع غير الطيبين
لأن الفضيلة هى الطيبة ٠
أثق فى الرجال المخلصين
وأثق فى غير المخلصين
لأن الفضيلة فى الاخلاص

★★★



聖人無常心以百姓心為心善者吾善之
不善者吾亦善之德善
信者吾信之不信者吾亦信之德信
聖人在天下歙歙為天下渾其心
百姓皆注其耳目聖人皆孩之

الحكيم ، خجول ، متواضع
يسمعه الناس ويتفرجون عليه ٠
وهو يتصرف ــ أمامهم ــ كطفل صغير ٠
بين الميلاد والموت ،
ثلاثة رجال من كل عشرة هم أتباع الحياة ٠
ثلاثة من كل عشرة هم أتباع الموت ٠
والذين يعبرون فقط من الميلاد الى المــوت ، هم ثلاثة
آيضا من كل عشرة ٠
لــــم هــــذا ؟
ذلك لأنهم يعيشون حياتهم ــ فقط ــ على مستوى الجسد
الثقيل

★★★

الذى يعرف كيف يعيش ، يستطيع السير فى آى مكان ٠
لا يخاف وحيد القرن أو النمر ٠

لن يجد وحيد القرن مكانا لكى يغرز فيه قرنه ،
والنمر لن يجد مكانا ينشب فيه مخالبه ٠
ولا السلاح مكانا ليخترقه ٠
لـــم هـــذا ؟
لأن جسده ليس فيه مكان يدخل منه الموت ٠
كل شيء ينبع من « الطاو » ،
ويتغذى بالفضيلة ،
ويتشكل من المادة ،
ويتحدد بالبيئة المحيطة ٠
لذلك فان العشرة آلاف شيء تحترم « الطاو »
وتكرم الفضيلة ٠
احترام « الطاو » وتكريم الفضيلة ،
ليس مفروضا على أحد ٠
ولكنه متضمن فى طبيعة الأشياء ٠
لذلك : كل الأشياء تنبع من « الطاو »

بالفضيلة تتغذى .

تتطور ، وتلقى العناية بها ؟

تجد المأوى ، والراحة .

تنمو ، وتجد الحماية .

تواصل الخلق ، دون ادعاء .

ودون انتظار فائدة أو أجر ،

تعمـــل .

تقود دون تدخل .

هذه هى الفضيلة الأولى .

بداية الـكون ،

هى أم كل الأشياء .

معرفة الأم تعنى معرفة الأبناء .

ومعرفة الأبناء ، دون الانفصال عن الأم

يجلب التحرر من خشية الموت .

★★★

احتفظ بفمك مغلقا ، وراقب حواسك ،
تجد الحياة مليئة .
افتح فمك ، وكن دائما مشغولا ، لا تجد فى الحياة أملا .

★★★

رؤية الأشياء الصغيرة : بصيرة .
الخضوع للقوة : مقدرة .
استعمل الضوء الخارجى ،
لتعود الى البصيرة فى الأعماق ،
بهذه الطريقة تخلص من كل الأضرار .
تعرف طريق المواصلة والثبات على الطريق .
لو أن لى حتى قليلا من العقل ،
لسرت فى الطريق الرئيسى المستقيم ،
وكان خوفى الوحيد أن أحيد عنه .
اتباع الطريق الرئيسى سهل ،
ولكن الناس مغرمون بالانحراف عنه .

★★★

عندما يكون بلاط الملك غارقا فى الفخامة ،
فان الحقول تمتلىء بالحشائش والأعشاب ٠
وتفرغ مخازن الحبوب ٠
بعض الناس يرتدون ملابسا مزركشة ،
ويحملون أسلحة حادة ٠
ويملئون بطونهم بالطعام والشراب ٠
وتصبح ممتلكاتهم أكثر مما يستعملون :
هؤلاء هم السادة اللصوص
طريقهم ــ بالتأكيد ــ ليس طريق « الطاو »
ماله أساس متين ، لا يمكن اقتلاعه ٠
وما يمسك به جيدا ، لا يتسرب من القبضة ٠
سيكون موضع تبجيل من جيل الى جيل

★★★

اذرع الفضيلة فى نفسك ،
تصبح الفضيلة حقيقة ٠
اغرسها فى الأسرة ،

تظل أبدا فياضة ٠
ازرعها فى القرية ،
تنمـــو الفضيلة ٠
ازرعها فى الأمة ،
تصبح موفورة ٠
ازرعها فى الـــكون
تجــدها فى كل مكان ٠

★★★

لهذا : انظر الى الجسد كجسد ٠
انظر الى العائلة على أنها عائلة ٠
انظر الى القرية على آنها قرية ٠
والى الأمة على آنها أمة
انظر الى الكون على أنه كون ٠
فكيف عرفت انا أن الكون كذلك ؟

بالنظـــــر !

من تملؤه الفضيلة ، يكون مثل طفل حديث الولادة .

الزنابير والحيات لا تلدغه .

الوحوش الكاسرة لا تنقض عليه ،

ولا تهاجمه الطيور الجوارح .

عظامه لينة ، وعضلاته ضعيفة

لكن قبضته متينة .

انه لم يعرف الاتحاد بين الرجل والمرأة ،

ولكنه مكتمل . رجولته قوية .

يصرخ طوال النهار ، ولا يبح صوته .

هذا هو التوافق الكامل

معرفة التوافق تولد الجلد والثبات .

ومن الثبات والجلد تتحقق الاستنارة .

★★★

ليس من الحكمة أن تندفع •

السيطرة على التنفس ، تجلب التوتر •

وعندما تبالغ فى بذل المجهود ، يكون الارهاق •

هذا ليس طريق « الطاو » •

وكل ما هو عكس طريق « الطاو » لا يعيش كثيرا •

الذين يعرفون ــ حقا ــ لا يتكلمون •

والذين يتكلمون لا يعرفون •

اغلــق فمــك •

واضبط حواســك •

تحــكم فى حــدتك •

بسط مشــاكلك •

اخف ذكائك •

كن واحدا مع تراب الأرض •

هذه هى الوحدة الأولى •

★★★

من يحقق هذه الحالة :

لا يهمه الأصدقاء ولا الأعداء ،

ولا يهتم بالطيب أو بالخبيث ، ولا بالمجد أو بالمهانة .

تلك أعلى حالات الانسان .

احكم الأمة العدل .

واذا شننت الحرب فليكن ذلك بضربات مباغتة .

كن سيدا للعالم ، دون أن تجالد فى سبيل ذلك .

أما كيف عرفت أنا ، أن هذا ما يجب ؟

فقد عرفته بما يلى !

★★★

كلما كثرت القوانين والمحظورات ،

ازداد النـــاس فقرا .

كلما ازدادت الأسلحة مضاء ،

زادت المتاعب فى الأرض .

كلما كان الناس أذكياء وشطار ،
كلما زادت الغرائب فى الأرض ·
كلما زادت القوانين والتنظيمات ،
زاد عدد اللصوص وقطاع الطرق ·

★★★

لذلك يقول الحكيم :
أنا لا آتخذ اجراءات ، لذلك يزداد صلاح الناس
أتمتع بالسلام ، فتزيد أمانة الناس
أنا لا أفعل شيئا لذلك يزداد ثراء الناس
ليست لى مطامع أو رغبات
هكذا يعود الناس الى الحياة الطيبة البسيطة ·
عندما تحكم البلاد بيد رفيقة ،
يصبح الناس بسطاء ·
وعندما تحكم بالقوة ،
يصبح الناس خبثاء محتالين ،

★★★

آصل السعادة فى الشقاء ·
ويكمن الشقاء تحت السعادة ·
من ذا الذى يعرف ما يخفيه المستقبل ؟
فليس هناك أمانة ،
الأمانة قد تصبح خيانة ،
والطيبة قد تصبح شعوذة ،
وضلال الانسان قد يدوم طويلا ·

★★★

ولهذا كان الحكيم حادا ، ولكنه غير باتر ·
مدبب ، ولكنه غير نافذ ·
عادل قويم ، ولكنه قادر على ضبط أحكامه ·
مضىء لامع ، لكن نوره لا يغشى العيون ·
فى الاهتمام بالآخرين ، وخدمة السماء ،
ليس هناك أفضل من التحكم فى النفس ·

والتحكم فى النفس :

يبدأ بالقدرة على التخلص من أفكار المرء الخاصة ٠

وهذا يعتمد على ما جمعه من فضيلة فى الماضى ٠

فاذا كان هناك مخزون كاف من الفضيلة ،

فلن يكون هناك مستحيل ٠

واذا لم يكن هناك مستحيل ٠

فلن تكون هناك حدود ٠

واذا لم يعرف الانسان حدودا ،

فهو جدير بأن يكون حاكما ٠

ومع تحقق المبدأ « الأم » للحكم ،

يبقى الحكم صالحا أمدا طويلا ٠

وهذا هو ما يسمى : الجذور العميقة والأساس المتين ٠

أنه « طاو » الحياة المديدة ، والرؤية الأبدية ٠

حكم البلاد يشبه طبخ سمكة صغيرة ٠

اقترب من الكون « بالطاو » ٠

ولن تكون للشر قوة ·

هذا لا يعنى أن الشر ليس قويا ·

ولكن قوته لن تستخدم للاضرار بالآخرين ·

ولن يكون الشر عاجزا عن ايذاء الآخرين فقط ،

بل ان الحكيم سيجد نفسه محميا هو الآخر ·

لن يؤذى أحدهما الآخر ،

لأن الفضيلة عند أيهما ستنعش وتجدد الفضيلة ،

عنـــد كل منهما ·

البلد العظيم مثل السهل المنخفض ·

أرض يلتقى فيها كل الكون ،

هى ــ أم ــ لكل الكون

★★★

الأنثى تغلب الذكر بالثبات ،

بأن ترقد تحته ثابتة مستقرة ·

★★★

لذلك اذا استسلمت أمة كبيرة ،
لأمة أصغر منها ، فسوف تنهزم
الأمـــة الصـــغرى ٠
واذا خضعت أمة صغيرة لأمة كبيرة ،
فإنها تستطيع أن تهزم الأمة الكبيرة ،
لذلك : هؤلاء الذين يغلبون ،
عليهم ـــ أولا ـــ أن يخضعوا ٠
والغالبون يستطيعون ذلك ،
لأنهم يخضعون ٠
وتحتاج الأمة العظيمة لمزيد من البشر
أما الأمة الصغيرة فعليها أن تقدم الخدمات
وكل منهما يحصل على ما يحتاجه
ولذا يجدر بالأمة العظيمة أن تخضع ٠
« الطاو » منبع العشرة آلاف شيء ٠
« الطاو » هو كنز الرجل الطيب ،

وملاذ الرجل الشرير ·

الكلمات الجميلة يمكن أن تشترى المجد ·

والأفعال الطيبة يمكن أن تجلب الاحترام ·

فإذا كان الرجل شريرا : فلا تهجره

لذلك : ففي يوم تتويج الامبراطور

أو فى اليوم الذى يرسم فيه ضباط الدولة الثلاثة :

لا ترسل اليشم ، ولا تبعث بالمركبات التى تجرها الخيول الأربعـــة ·

ولكن كن ثابتا ، وقدم « الطاو »

لماذا يحب الناس « الطاو » للوهلة الأولى ؟

أليس ذلك لأنك واجد عنده دائما ما تبحث عنه ·

وعنده دائما تغتفر خطيئتك

لذلك : فان « الطاو » أعظم كنوز الأرض ·

تدرب عــلى اللا فعل

اعمــل دون فعل ·

تذوق مالا طعم له ·
اجعل الصغير كبيرا ، وزد فى القليل ·
قابل المرارة بالاحسان ·

★★★

ابحث عن البساطة فى التعقيد ·
حقق العظمة فى الأشياء الصغيرة ·

★★★

فى الكون تتحقق الأشياء الصعبة ، وكأنها أشياء يسيرة ·
فى الكون تتحقق الأشياء العظيمة ، من أفعال صغيرة ·
والحكيم لا يقدم على فعل أشياء كبيرة جدا ،
لذلك فهو يحقق العظمة ·

★★★

الوعود السهلة تؤدى الى فقدان الثقة ·
أخذ الأمور بخفة ، يجلب مصاعب كبيرة ·
ولأن الحكيم يواجه المصاعب دائما ،

فهو لا يقع أسيرا لها •

المحافظة على السلام سهلة ،

مقاومة الاضطراب ، ممكنة ، قبل أن يبدأ

الشيء الهش • من السهل تحطيمه

والضئيل يتبدد بسهولة

★★★

تعامل مع الأشياء ، قبل أن تحدث •

نظمها قبل أن تستشرى الفوضى فيها •

★★★

شجرة أكبر من امتداد ذراعى رجل ،

تنبثق من نبت صغير

والشرفة ذات الثمانية طوابق ، تؤسس علـى حفنة من تراب •

والرحلة التى طولها ألف ميل ، تبدأ تحت قدميك •

من يحاول أن يفعل ، يهزم أغراضه .
من يحاول أن يمسك بالأشياء ، يخسر .
أما الحكيم فهو لا يفعل ، لذلك لا ينهزم .
لا يحاول امتلاك الأشياء ، فلا يخسر .

★★★

يفشل الناس عادة ، عندما يكونون على وشك النجاح .
لذلك اجعل للنهاية ، نفس أهمية البداية .
عندئذ لن يكون هناك فشل .

★★★

ولهذا يبحث الحكيم عن التحرر من الرغبة .
انه لا يجمع الأشياء الثمينة .
هو يتعلم أن لا يتمسك بالأفكار .
يعيد الناس الى الأشياء التى فقدوها
ويساعدالعشرةآلاف شيء على أن تجد مسارها الطبيعى .
لكنه مع ذلك يمتنع عن اتخاذ الفعل .

★★★

فى البداية : لم يحاول من عرفوا « الطاو » ، أن يضيئوا
الطريق للآخرين ،

ولكنهم تركوهم فى الظلام ·

لماذا هو صعب جدا أن تحكم ؟

ذلك لأن الناس أذكياء ·

والحكام الذين يستعملون ذكاءهم

يغشـــــون البلد ·

أما الذين يحكمون بلا ذكاء ، فهم نعمة على الأرض ·

وهذان هما الخياران ·

وادراك هذا هو الفضيلة الأولى ·

فالفضيلة الأولى : عميقة ، وبعيدة

انها تقود كل الأشياء ــ مرة أخرى ــ

الى الوحدة الكبرى ·

لماذا كان البحر ملكا على مئات الجداول ؟

لأنه يقع تحت منها ·

لذلك يكون البحر هو الملك على مئات الجداول ·

★★★



江海所以能為百谷王者以其善下之故能為百谷王
是以欲上民必以言下之欲先民必以身後之
是以聖人處上而民不重處前而民不害
是以天下樂推而不厭以其不爭故天下莫能與之爭

اذا أراد الحكيم أن يرشد الناس ، فلابد أن يخدمهم فى تواضـــع ٠

واذا أراد أن يقودهم ، فلابد أن يبقى فى المؤخرة ٠

عندئذ لو حكم الحكيم ، فلن يشعر الناس بالقهر ٠

واذا وقف أمامهم ، لن يصيبهم ضرر ٠

العالم كله سيساعده ، ولن يضجر منه أحد ٠

★★★

لأنه لا ينافس أحدا ،

فلن ينافسه أحد ٠

كل انسان تحت هـذه السـماء يقـول « الطاو » الذى أعتنقه عظيم

هو فريد ، لا يقارن ، ولأنه عظيم فهو مختلف ٠

وان لم يكن مختلفا ، لتلاشى منذ زمن بعيد ٠

كنوز ثلاثة ، أعتنى بها وأحافظ عليها

الأول هو الرحمة ، والثانى هو الاقتصاد ٠

أما ثالث كنوزى : فقدرتى عــلى ألا أكون فى مقــدمة
الآخرين ·
من الرحمة تأتى الشجاعة ، ومن الاقتصاد يأتى الكرم ·
ومن التواضع تنبع القيادة ·

★★★

فى أيامنا هذه يتنكر الناس للرحمة ، لكنهم يحاولون
أن يكونوا شجعانا
هم يهجرون الاقتصاد، لكنهم يحاولون أن يكونوا كرماء
هم لا يؤمنون بالتواضــع ، ويحــاولون ـ دائما ـ أن
يكونوا فى المقدمة
وهــذا هو الموت المحقق

★★★

الرحمة تجلب النصر فى المعارك ·
وتؤدى الى الصمود فى الدفاع ·
بالرحمة : تنقذنا السماء وتحمينا ·
الجندى الجيد ليس عنيفا ·

المحارب الجيد ليس غضوبا ٠

المنتصر الجيد ليس منتقما ٠

صاحب العمل الجيد متواضع ٠

هذا هو ما يعرف بفضيلة : عدم المجادلة ٠

هذا هو ما يعرف : بالقدرة على التعامل مع الناس ٠

وهذا هو ما يقول عنه الناس منذ قديم الأزل :

التوحد الأقصى مع السماء ٠

هناك مثل يؤمن به الجنود فى الحرب :

لا أجرؤ أن آخذ الخطوة الأولى ، وأفضل أن أستقبل
من يهجم على ٠

لا أجرؤ على أن أتقدم بوصة ، وأفضل أن أتراجع قدما ٠

***

هذا هو ما يقال عنه : التقدم دون حركة ظاهرة ٠

تشمير الأكمام دون ابداء الذراعين ٠

أسر الأعداء دون هجوم ٠

أن تكون مدرعا بلا أسلحة ٠

★★★

ليس هناك مصيبة أكبر من التقليل من شأن العدو ٠

فبالتقليل من شأن العدو، أكاد أفقد كل ما أعتز به أنا ٠

★★★

لذلك عندما تدور رحى الحرب ،

فان الغلبة تكون للمضطهد ، المتوقع هزيمته ٠

★★★

كلماتى سهلة الفهم ، وسهلة الأداء معا

ومع ذلك ليس هناك انســان تحت السماء ، يفهمها أو يمارسها ٠

★★★

كلماتى لها بدايات قديمة ، وافعالى محكمة النظام

ولكن لأن الناس لا يفهمون ، فأنهم لا يعرفوننى ٠

★★★

من يعرفنى قليل

من يسيئون الى يكرمون

لذلك يرتدى الحكيم ثيابا خشنة

ويحتفظ فى قلبه بالجوهرة ٠

★★★

معرفة الجهل قوة وصحة ٠

أما الجهل بالمعرفة فهو سقم ومرض ٠

★★★

اذا ضاق الانسان بالمرض فهو ليس مريضا

والحكيم ليس مريضا ، لأنه قد ضاق بالمرضى ٠

لذلك هو ليس مريضا ٠

★★★

اذا فقد الناس حس الاعجاب والتوقير

فستحل السكوارث ٠

فلا تقتحم منازلهم

ولا تضايقهم فى أعمالهم

اذا لم تتدخل ، فلن يضيقوا بك ·

★★★

يعرف الحكيم قدر نفسه ، لكنه لا يستعرض ·

يحترم نفسه ، لكنه ليس متكبرا ·

انه يتخلى عن هذا ·· ويختار ذاك ·

★★★

الرجل الشجاع المنفعل ، سوف يقتل أو يقتل ·

أما الرجل الشجاع الهادىء فسوف يحتفظ دما بالحياة ·

من هذين الاثنين : من هو النافع ، ومن هو الضار ؟

بعض الأشياء لا تباركها السماء · من يدرى الأسباب ؟

حتى الحكيم ليس متأكدا من هذا ·

★★★

« الطاو » فى السماء لا يجالد ، لكنه دائما ينتصر ·
هو لا يتكلم ، لكن دائما يستجاب له ·
لا يطلب ، لكن يأتيه ما يحتاجه ·
يبدو مسترخيا ، لكنه يتبع خطة مرسومة ·

★★★

شبكة السماء تنفرد على مساحة واسعة
ورغم أن خيوطها خشنة غليظة ، فان شيئا ما لا يفلت منها ·
اذا كان الناس لا يخافون أن يموتوا ،
فلا فائدة من تخويفهم بالموت
أما اذا كان الناس يعيشون فى رعب دائم من الموت ،
وكان خرق القانون يعنى أن يقتل الانسان ·
فمن هذا الذى يجسر على خرق القانون ·

★★★

هناك دائما جلاد رسمى
فاذا أردت أن تأخذ مكانه
فكأنك تحاول أن تكون مثل سيد النجارين

وتحاول تقطيع الخشب ٠
اذا حاولت تقطيع الخشب كما يفعل سيد النجارين ،
فلن تصيب الا يدك ٠

***

لماذا يجوع الناس ؟
لأن الحكام يأكلون النقود بالضرائب ٠
لذلك يجوع الناس ٠

***

لماذا يتمرد الناس ٠
لأن الحكام يتدخلون أزيد من اللازم ٠
لذلك يتمرد الناس ٠

***

لماذا يستهين الناس بالموت ؟
لأن الحكام يتطلبون أشياء كثيرة من الحياة
لذلك يفكر الناس فى الموت باستهانة ٠

***

وعندما يكون عند الانسان القليل ، ليعيش عليه ،
فانه يتعلم أن لا يبالغ فى قيمة الحياة ·
يولد الانسان رقيقا ضعيفا ·
وعندما يحضره الموت يكون جامدا متيبسا ·
كذلك النبات الأخضر ، نضر لين ملىء بالعصارة ،
وعندما يموت يكون ذابلا وجافا

★★★

ولذلك فالجفاف وعدم الليونة هما من حواريى الموت وأتباعه
أما الرقة والليونة فاتباع للحياة ·

★★★

جيش بلا مرونة ، لا يكسب أبدا معركة
الشجرة التى لا تنحنى ، تكسر بسهولة

★★★

والقاسى القوى يسقط
أما اللين الضعيف فيتغلب ·
« طاو » السماء مثل احناء القوس

ينخفض الأعلى ، ويعلو المنخفض
اذا كان الوتر طويلا يمكن تقصيره
وان كان قصيرا يطول ·

★★★

طريق « طاو » السماء يأخذ فمن عنده زيادة ،
ليعطي من ليس عنده كفاية ·
أما طريق الانسان فهو مختلف ، فهو يأخذ ممن ليس عنده
ليعطي من عنده أزيد من حاجته ·
من هو الانسان الذى يعطى العالم، ما يزيد عن حاجته ؟
أنه انسان « الطاو » وحده ·

★★★

لذلك يعمل الحكيم دون أن ينتظر عرفانا ؟
يؤدى ما عليه دون الحاح
ولا يحاول أن يستعرض معرفته ·
لا يوجد تحت السماء ، ما هو أكثر خضوعا وليونة من المياه ،

لكن ليس مثلها فى الهجوم على الجامد القوى ٠

وليس لها فى ذلك نظير ٠

يستطيع الضعيف أن يغلب القوى ٠

كما يستطيع اللين أن يغلب الصلب ٠

كل من تحت السماء يعرف هذا ٠

لكن أحدا لا يطبقه ٠

لذلك يقول الحكيم :

من يأخذ على عاتقه هو ان الناس وضعتهم ،

يصلح لقيادتهم

ومن يأخذ على عاتقه مآسى البلاد ، يصلح لأن يكون ملكا عليهـــا

الحقيقة ــ تبدو غالبا ــ متناقضة ٠

★★★

بعدالمعاركالضاربة ، تبقى فى النفوس بعض الضغائن،

لا حيلة لأحد فى ذلك ٠

لذلك يحافظ الرجل الحكيم على ما عليـه للنـاس فى
التعامل معهم .
ولا يطالب بما له .
يؤدى الرجل الفاضـل ما عليـه ، أما الرجـل الذى
بلا فضيلة
فأنه يطالب الأخرين بأن يؤدوا ما عليهم
ان طرق السماء غير منحازه
وهى تظل مع الرجل الطيب طوال الوقت

★★★

البلد الصغير يسكنه ناس أقل .
ومع أن هناك آلات تعمل ، آسرع من الانسان عشر أو
مائة مرة .
فان آحدا لا يحتاج اليها .
يأخذ الناس الموت مأخذ الجد ، ولا يسافرون بعيدا .

يملكون السفن والمركبات ، لكنهم لا يستعملونها ٠

وعندهم الأسلحة والدروع لكنهم لا يعرضونها

يعملون عقدا على الحبال بدلا من الكتابة

طعامهم بسيط ولكنه جيد ، ملابسهم جميلة ولكنها

بسيطة وبيوتهم آمنة ٠

وهم سعداء بطريقتهم الخاصة ٠

على الرغم من أنهم يعيشون على مرمى البصر من جيرانهم

يسمعون صياح الديكة ، ونباح الكلاب عبر الشارع ٠

الا أن كلا منهم يدع الآخر فى حاله ٠

بينما هم ـ جميعا ـ يشيخون ويموتون ٠

★★★

الكلمات الحقيقيه ليست جميلة ٠

الكلمات الجميلة ليست حقيقية ٠

الرجال الطيبون لا يتجادلون ٠

الذين يتجادلون ليسوا طيبين .

العارفون لا يتعالمون .

والمتعالمون لا يعرفون .

★★★

الرجل الحكيم لا يحاول أن يخزن الأشياء أو يدخرها .

كلما عمل من أجل الناس زاد ما عنده .

وكلما أعطى الآخريين زادت وفرته .

طريق السماء مدبب .

لكنه لا يؤذى .

طريق الرجل الحكيم .

هو العمل دون مكابدة .

★★★

عن المترجم

- علاء الديب : مواليد مصر القديمة ١٩٣٩
- ليسانس حقوق ــ جامعة القاهرة
- مترجم ٠
- قصاص ــ روائى (القاهرة مجموعة قصص ١٩٦٤)
(صيام الجمعة مجموعة قصص ١٩٧٠)
(زهر الليمون ــ رواية ــ ١٩٨٦)
(أطفال بلا دموع ــ رواية ــ ١٩٨٩)
- صحفى ــ ناقد أدبى ــ بدار روز اليوسف ٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٣٩٩١/١٩٩٧

ISBN — 977 — 01 — 5516 — 0

لوتسو المؤلف هو رفيق كونفوشيوس الكبير، عاش فى القرن السادس قبل الميلاد، فى الأرشيف الامبراطورى فى مدينة لوينج، بمقاطعة هينان.

وطبقا للأسطورة القديمة هجر الرجل الحياة كلها، ورفض أن يسجل الحكمة، يأسا من أحوال الناس وشرورهم، وعدم جدارتهم بالحكمة، وانطلق وحيدا مع حماره. إلا أن حراس المناطق الشمالية أجبروه على تسجيل كلماته، ثم جمعوا هذه الكلمات فكانت الإحدى والثمانين قطعة والتى يرجع تاريخها إلى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد، والتى أثرت بعد ذلك فى الروح الصينية وفى الأساطير والتراث والثقافة الصينية كلها.

١٤٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب